سياسة إيران تجاه أفغانستان

مصطفى جانر *

ملخص : تتناول هذه الدراسة سياسة إيران تجاه أفغانستان، فتعرض أولًا سياسة إيران في أفغانستان في الفترة التي كانت تعطي الأولوية لانسحاب القوات الأمريكية من المنطقة، ثم تناقش ردود أفعال إيران وضبطها لموقفها وموقعها بعد أن أحكمت طالبان سيطرتها على معظم البلاد، ثم تسلط الضوء على العوامل التي تتبلور حولها سياسة إيران في أفغانستان، وتحلّل التأثيرات المحتملة لهذه العوامل، وتقدّم توقّعات حول التغييرات المحتملة في السياسة الخارجية على المدى القصير والطويل. وتجادل هذه الدراسة بأن المحددات الأيديولوجية مثل حماية الشيعة في أفغانستان تؤدّي دورًا لا يقلّ أهميةً عن الدور الذي تؤدّيه المصالح السياسية الواقعية في النهج الذي تتبعه إيران إزاء الأزمة الأفغانية.

الكلمات المفتاحية:إيران، أفغانستان، طالبان، الهزارة، لواء فاطميون.

*باحث، معهد الشرق الأوسط بجامعة صقاريا

Iran’s Policy toward Afghanistan

MUSTAFA CANER *

ORCID NO : 0000-0001-7257-2321

ABSTRACT *This Study examines Iran's Afghanistan policy in the period following the US withdrawal from the Region, The study then discusses how Iran reacted and adjusted its position after the Taliban's takeover in the region to a large extent. Additionally, the study discusses the facors that shaped Iran's Afghanistan Policy, in doing so the study analyses the possible effects of these factors, possible foreign policy changes in the short and long term. The study argues that ideological determinants such as the protection of Shiites living in the region as well as real-political interests play a role in shaping Iran's approach to the Afghanistan crisis.*

Key words : Iran, Afghanistan, Taliban, Hazaras, Liwa Fatemiyoun

* Research Fellow, Sakarya University Middle East Institute

رؤيـــة تركيـــة
2021-(4/10)
37 - 48

DOI:10.36360/1560-010-004-003

المدخل:

أسرعت طالبان تحكم سيطرتها على البلاد بشكل لم يكن بالحسبان، بعد الإعلان الأمريكي عن الجدول الزمني لسحب قواتها من أفغانستان، وهذا دفع العديد من الدول إلى اتباع سياسات جديدة، من بينها إيران بدون أدنى شك. تُعَدّ إيران من أكثر الجهات تضررًا بالأزمة الموجودة في أفغانستان؛ نظرًا لقربها من أفغانستان، وعلاقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية. ومن المعروف أن موقف إيران سيكون عاملًا مهمًّا في تشكيل مستقبل أفغانستان. رحبت إيران بقرار الولايات المتحدة انسحابها من أفغانستان، وتنفيذها لهذا القرار، وخلافًا لما هو متوقّع، عملت على تطوير علاقات طيبة جدًّا مع طالبان. لكنها بمرور الوقت، أخذت تتحرك بحذرٍ بسبب أصوات الانتقادات التي ارتفعت من الداخل الإيراني، وبسبب التطورات التي حصلت في التوازنات الإقليمية. تحمل الأزمة الأفغانية بالنسبة لإيران أبعادًا عديدةً، مثل: أمن الحدود، ووضع الشيعة الذين يعيشون في أفغانستان، والتصدي للتهديدات المحتملة للمنظمات الراديكالية كداعش وغيرها، وصادرات النفط. وعلى الرغم من أن العلاقات بين إيران وأفغانستان علاقات خاصة بالأجندات المشتركة لكلا البلدين، فإنها تتشكل في ذات الوقت بحسب التوازنات الإقليمية والعالمية، ومن هنا نرى أن علاقات إيران مع الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين وباكستان ودول الخليج وتركيا ستتأثر هي الأخرى بالتطورات الجارية في المنطقة، وستؤثر أيضًا فيها.

موقف طهران من الأزمة الأفغانية:

أصيب عدد كبير من المراقبين بالدهشة حينما لامسوا المرونة الدبلوماسية لدى إيران التي تُعدّ من إحدى الجهات الفاعلة المعنية بالأزمة التي اندلعت في أفغانستان في شهر أغسطس 2021، وصارت حديث الأجندات العالمية، والسبب في ذلك يعود إلى الأنشطة الدبلوماسية التي أخذت إيران بتسييرها تحت غطاء"الحيادية"، تمامًا على عكس ما أطلقته من خطابات مناهضة لطالبان على مدى عقود. فمن المعلوم أن طالبان قتلت تسعة دبلوماسيين إيرانيين في القنصلية الإيرانية في مزار شريف عام 1998،وأشارت طالبان حينها إلى مجموعةٍ "تحركت خارج التسلسل القيادي"، ومع ذلك توعدت إيران حركة طالبان بأنها ستدفع ثمن هذا الحادث، ودار الحديث حول احتمالية اندلاع الحرب بعد أن أرسلت إيران 70 ألف جندي إلى حدودها المتاخمة لأفغانستان[1]. وبحسب بعض التقارير، بلغ العدد الإجمالي للقتلى إبان الهجوم الإيراني 11 قتيلًا[2]. ولهذا السبب، رحبت إيران بالتدخل الأمريكي في أفغانستان عام 2001، وسعدت بالعمليات العسكرية التي قامت بها أمريكا ضد طالبان، وقد اعترف رئيس إيران الأسبق، محمود أحمدي

نجاد، في كلمة ألقاها عام 2015 أن إيران تدعم التدخل الأمريكي في أفغانستان[3].

كما قدمت إيران دعمًا كبيرًا لتحالف الشمال الذي حصل على دعم العديد من الدول ضد حركة طالبان في أفغانستان، في أواخر التسعينيات وأوائل القرن الحادي والعشرين. حتى إن القائد الإيراني الشهير قاسم سليماني بذاته قام بأنشطة من أجل تحالف الشمال. ولا عجب من ردة الفعل التي أبدتها الحكومة الأفغانية على مقتل سليماني في مطار بغداد إثر عملية اغتيال نظمتها الولايات المتحدة في بداية عام 2020. فقد استعمل حامد كرزاي عبارة "شهيد" لوصف سليماني، وتحدث أحمد ضياء مسعود، شقيق أحمد شاه مسعود عن سليماني بأنه "بطل لا يمكن تعويضه"[4].

وبالتوازي مع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، شعرت إيران بالحاجة إلى إعادة صياغة سياستها في أفغانستان، فتحولت إلى مناورات دبلوماسية، مثل إقامة حوار مع طالبان، وبناء أساس لمفاوضات الجهات الفاعلة الأخرى في أفغانستان مع طالبان. وعلى الرغم من أنّ مناورات إيران الدبلوماسية تجلت بشكل أوضح في وقت الأزمة، فإنها في الواقع تعود إلى ما لا يقل عن عامين قبل أن تبسط طالبان سيطرتها على كامل أفغانستان على وجه التقريب، ففي أواخر عام 2018 ، جاء وفد من طالبان إلى طهران قادمًا من أفغانستان، وقام بزيارات رفيعة المستوى.[5] وفي يناير 2021 ، قام وفد برئاسة رئيس المكتب السياسي لطالبان الملا عبدالغني برادر بزيارة إلى طهران، والتقى بمسؤولين إيرانيين رفيعي المستوى خلال هذه الزيارة. وكان أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني، ووزير الخارجية الإيراني جواد ظريف، من بين المسؤولين الذين التقى بهم برادر. جرت هذه الزيارة بدعوة من وزارة الخارجية الإيرانية[6]. وحينما قال المتحدث باسم الحكومة الإيرانية علي ربيعي: "إن طالبان جزء من أفغانستان، وجزء من الحل في مستقبل أفغانستان "[7] في 29 يونيو، أشار بذلك إلى أن إيران بدأت ترى طالبان جهة فاعلة شرعية. وفي شهر يوليو، التقى ممثلون عن طالبان والحكومة الأفغانية في طهران بوساطة المسؤولين الإيرانيين، وكان وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف حاضرًا أيضًا في المفاوضات بين الجانبين. وقال ظريف في تغريدة له عن الاجتماع الذي عقد في 7 يوليو 2021: إنه "يشرّفه" التوسّط في الاجتماع، وإن إيران تدعم "أشقاءها الأفغان"[8].

وبعد سيطرة طالبان على أفغانستان، واصلت سفارة إيران في كابول والقنصلية الإيرانية في هرات عملها[9]، وصرّح وزير الخارجية جواد ظريف أنه يرحب ويؤيد "مجلس التنسيق" القائم على الحوار الذي اقترحه حامد كرزاي[10]، وقرأ الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي الانسحاب الأمريكي من أفغانستان على أنه "هزيمة"، وقيّمه بأنه فرصة لإحلال السلام والأمن في المنطقة.[11] من جانب آخر، فإنّ التمثيل الدقيق والحذر لطالبان

في وكالات الأنباء والصحف الإيرانية الرسمية كان ممّا لفت الانتباه، إذ لم تُستخدَم التعبيرات السلبية حين ورود اسم حركة طالبان في الأخبار المتعلقة بأفغانستان وطالبان. ويُعتقَد أن السلطات الإيرانية تصرّفت بهذه الطريقة لعدم إثارة غضب طالبان، وإعداد الرأي العام المحلي لمعادلة أفغانستان التي تكون فيها طالبان الفاعل الرئيس، بل وإعداده لوضعٍ يمهّد للاعتراف رسميًّا بحكومة طالبان.

ردود الأفعال من الداخل الإيراني وسياسة إيران الحذرة تجاه أفغانستان:

لم يمض وقت طويل حتى أخذت إيران تسرّع علاقاتها مع طالبان التي سيطرت على البلاد بسرعة كبيرة خلال انسحاب العناصر العسكرية الأجنبية من أفغانستان. بدايةً دفعت الرسائل الإيجابية الموجَّهة إلى طالبان طهرانَ إلى التحرك بحذر، نظرًا لارتفاع الأصوات المعارضة من الداخل الإيراني، وتحكم اللاعبين الآخرين بمستقبل التوازنات الجيوسياسية في المنطقة. ولا تزال إيران تتوخى الحيطة والحذر في خطواتها التي تتخذها تجاه أفغانستان. يمكن القول بأريحيةٍ: إن سياسة طهران الحالية لا تتشكل بدوافع أيديولوجية، ولكن من الواضح أن سحبَ الخطاب السلبي الذي طوّرته طهران إزاء حركة طالبان طيلة سنوات عديدة إلى أرضيةٍ أكثر اتزانًا مما سبق- له تكاليفه في الداخل الإيراني. فالعديد من الجهات الفاعلة في إيران ينتقدون سياسة إيران الناعمة تجاه حركة طالبان وعلاقتها الإيجابية بها، ويقيمونها على أنها تخالف كلًّا من الموقف الأيديولوجي للجمهورية الإسلامية، واستثماراتها في الجبهة المناهضة لطالبان لسنوات عديدة. ولقد زعم الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد أن الوضع في أفغانستان كان نتيجة اتفاق أمريكي روسي، حينما قال في تغريدة له بتاريخ 17 أغسطس: "على حسب ما أتذكر، يعمل الكلاشينكوف الروسي والخطة الأمريكية دائمًا معًا"،[12] وأومأ أن خطاب طالبان المناهض للإمبريالية لا تعكس الحقيقة. وفي تغريدة أخرى أرسلها يوم 20 سبتمبر، حذر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وأخبره أنه لا ينبغي "إعطاء فرصة" لحركة طالبان التي وصفها بـ"الإرهابية".[13]

وتجلى تشوش أذهان النخب الإيرانية خير جلاء في أثناء هجمات طالبان التي حصلت في بانشير، حيث دافعت مجموعة من النخبة الإيرانية عن المقاومة المناهضة لحركة طالبان بقيادة أحمد مسعود، وتحدّت السياسة التي تنتهجها طهران في أفغانستان، ودعا 500 شخص، منهم سياسيون مشهورون في البلاد (كالرئيس الإصلاحي السابق محمد خاتمي) إلىً دعم أحمد مسعود، زعيم المقاومة في بانشير.[14] وقام مجلس مدينة طهران بتسمية شارع في طهران باسم"شارع بانشير"، بناءً على قرار اتخذته في 19 سبتمبر، من أجل دعم المقاومة في بانشير[15]. ويشير انتقال سلطة مجلس المدينة إلى المحافظين بعد

الانتخابات المحلية الأخيرة إلى أن الجبهة المناهضة لطالبان فيما يخص بانشير لا تضم الإصلاحيين فقط.

> "صرح المتحدث باسم وزارة الخارجية سعيد خطيب زادة بأنهم "يدينون بشدة" هجمات طالبان على بانشير"

ثم ما لبثت الحكومة الإيرانية أن قامت بمراجعة موقفها في هذه المسألة. وصرح المتحدث باسم وزارة الخارجية سعيد خطيب زادة بأنهم "يدينون بشدة" هجمات طالبان على بانشير، وذكر المقاومين في بانشير الذين قُتلوا نتيجة الهجمات بأنهم "شهداء". وهناك أمر آخر شدّد عليه خطيب زادة، وهو يتعلق بما يسميه بـ"التدخل الأجنبي". وذكر أن إيران تعارض التدخل الأجنبي في أفغانستان، ولم يذكر اسم باكستان في إشارةٍ إلى التدخل الأجنبي، ولكن كان واضحًا أنه قصد بذلك باكستان، كما فُهِم من ذكر اسم باكستان في السؤال الموجه إليه في هذا الشأن، ومن التقارير الصادرة عن وكالات الأنباء.[16] وفي الأيام التالية، شدّدت الحكومة المؤقتة التي طرحتها طالبان رد فعل إيران.، وتلقت الحكومة الجديدة انتقادات بأنها حكومة "غير شاملة"؛ لأنها تضم في الغالب أسماء ذات أصول بشتونية، وانتقد علي شمخاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني بشكل علني إدارة طالبان بشأن هذه القضية.[17]

تكشف تصريحات خطيب زاده وشمخاني نقطتين في سياسة إيران تجاه أفغانستان: أُولاهما أن السياسة الإيجابية التي اتبعتها طهران تجاه طالبان في أولى مراحل الأزمة لها حدود، وأن هذه السياسة ليست قطعية، وثانيتها هي أن أصوات المعارضة التي ترتفع من داخل إيران يمكنها أن تؤثر في الخطوات التي تتخذها الحكومة الإيرانية. لا يمكن القول: إن انخراط إيران في الجبهة المناهضة لطالبان منذ التسعينيات هو وحده الذي تسبب في التشوش الذي أحدثته قضية أفغانستان في أذهان النخب الإيرانية، فجميع السياسات الإيرانية في الشرق تقوم على الأقل من الناحية الخطابية على محاربة التنظيمات المتطرفة، مثل طالبان والقاعدة وداعش. ويختلف الوضع فيما يتعلق بأفغانستان، وهذا يؤدي إلى إضعاف دعائم السياسة الإيرانية في الشرق الأوسط. في هذه الحالة، إما أن تقوم إدارة طهران بإعادة صياغة سياستها الخاصة بالشرق الأوسط برمتها بناءً على أولوية وأهمية قضية أفغانستان، وإماأن تبدي حدًّا أقصى من الجهد والمرونة حينما تستمر في توخي الحيطة والحذر عند اتخاذ خطواتها تجاه أفغانستان؛ لتجنب الإضرار بخطاباتها "المناهضة للراديكالية "التي أنشأتها في قضايا إقليمية أخرى.

العوامل التي تحدّد سياسة إيران في أفغانستان:

الأمن القومي:

تشكّل الأزمة الأفغانية بالنسبة لإيران مسألة تتعلق قبل كل شيء بأمن الحدود. فهناك ترابط بين الأمن القومي لكلا البلدين اللذين يشتركان في حدود طويلة جدًا تبلغ 921 كيلومترًا. ونرى إيران في حالة تأهب ضد أي نوع من الفوضى والتهديدات الأمنية التي قد تحدث على حدودها. وتشكل الهجرة غير النظامية وتهريب المخدرات، فيما عدا الهجمات المحتملة من أفغانستان على إيران، مصدرين مهمّين للمشكلات. تستضيف إيران عددًا كبيرًا من اللاجئين الأفغان نتيجة استمرار عبور اللاجئين الأفغان في السنوات التي أعقبت غزو أفغانستان من قبل الاتحاد السوفيتي. وبحسب بيانات الأمم المتحدة، يوجد في إيران 780 ألف لاجئ أفغاني مسجّل، و2.25 مليون لاجئ أفغاني غير مسجّل، إلى جانب 586 ألف أفغاني يعيشون في إيران حاملين جوازات سفر أفغانية، بغرض العمل والتعليم وغيرهما[18]. ومن المحتمل أن تؤدي الأزمة في أفغانستان إلى زيادة عبء اللاجئين الأفغان على إيران، ولكن لا تستطيع إيران أن تتحمل أعباء موجة جديدة من اللاجئين، إذا وضعنا بالحسبان تدهور حالتها الاقتصادية؛ لأسباب متفرقة، ولاسيما العقوبات الأمريكية المفروضة عليها. بالإضافة إلى ذلك، تلبّي أفغانستان أكثر من 80 ٪ من إنتاج الأفيون في العالم، و95 ٪ من الأفيون في أوروبا تأتي من أفغانستان[19]. وتشكّل إيران أشهر ممرّ لعبور المخدرات المنتجة في أفغانستان. لهذا السبب، تحتاج إيران إلى أن تبدي مستوى عاليًا من الحساسية لأمن الحدود.

على الرغم من أن طالبان ملأت إلى حد كبير فراغ السلطة الناجم عن انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، لكن يبدو أنه من المستحيل في الوقت الحالي السيطرة الكاملة على البلاد بأكملها؛ لأن أفغانستان تشكل معقل التنظيمات الإرهابية، كالقاعدة وداعش خراسان. وهناك سيناريوهات بأن هذه التنظيمات ستكون أكثر نشاطًا في قتالها ضد طالبان، وأن هجماتها وعملياتها ستزداد في الفترة المقبلة. فالهجوم الإرهابي الذي نظمه داعش خراسان والذي أسفر عن مقتل 170 شخصًا بينهم 13 جنديًّا أمريكيًّا، في الوقت الذي كانت تجري فيه عمليات الإخلاء من مطار كابول- يمكن عدّه نذيرًا لأيام صعبة تنتظر أفغانستان[20]. ومن المحتمل أيضًا أن تنال دول الجوار حظّها من هجمات التنظيمات الإرهابية المتوقّع استمرارها في أفغانستان، فتتأثر الصين المتاخمة لأفغانستان، وكذلك روسيا التي تعمل على الحفاظ على نفوذها في الجغرافيا التي كانت خاضعة للاتحاد السوفياتي سابقًا. ويمكن أن تستهدف هذه الهجمات إيران استهدافًا مباشرًا. ومن المعروف أن داعش تشتهر أصلًا بعدائها لإيران، ففي عام 2017 ضربت

داعش قلب إيران، إن جاز التعبير، وهي التي لم تألف رؤية هجمات إرهابية في مراكزها، حيث استهدف الهجوم كلًا من مجلس الشورى الإسلامي، وضريح آية الله الخميني، وأسفر عن مقتل 12 شخصًا منهم المهاجِمان، وإصابة حوالي 40 شخصًا.[21] كما أن عداء داعش للشيعة حقيقة لا يخفى على أحَد. لذلك، من المتوقّع أن تنفذ داعش هجمات ضد إيران والشيعة الذين يعيشون في أفغانستان، ومن هنا من الطبيعي أن تشعر السلطات الإيرانية بالقلق إزاء حالة الغموض وعدم الاستقرار في أفغانستان.

يبدو جليًّا أن الأزمة في أفغانستان ستكون لها تداعيات على ما وراء حدود أفغانستان. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل الدول المجاورة لأفغانستان في حالة تأهب. يمكن القول: إن العلاقات بين إيران وباكستان الجارتين لأفغانستان ولبعضهما- ستتشكل بحسب الوضع الجديد. ويتصدر البلوش الذين يعيشون في إيران وباكستان أحد الموضوعات المطروحة على جدول الأعمال بين البلدين. يعيش البلوش بكثرة في. إقليم سيستان وبلوشستان في إيران، ويشكل البلوش الذين ينتمون إلى الطائفة السنية أقلية عرقية وطائفية في إيران. علاوة على ذلك ، تقوم العديد من المنظمات الإرهابية

بتنظيم الأعمال من دون هوادة في إيران من خلال استغلال المطالب السياسية للبلوش. يمكن إعطاء التنظيم المسمَّى بجيش العدل مثالًا على ذلك، وقد يتسبب الفراغ الأمني الذي من شأنه أن يحدث على حدود إيران في دفع هذا التنظيم إلى إيجاد مكان لنفسه في الفترة المقبلة.

العوامل الاقتصادية والثقافية:

أفغانستان بلد مهم للغاية بالنسبة لإيران من الناحية الاقتصادية؛ لأن 11 ٪ من صادرات إيران غير النفطية تذهب إلى أفغانستان[22]، ويبلغ حجم التجارة السنوية بين البلدين حوالي 3 مليارات دولار[23]. وتوفر إيران حاجتها من العملة الأجنبية عبر التجارة التي تكون نقدًا على الحدود الأفغانية، فتغطي بذلك النقص الحاصل في النقد الأجنبي نتيجة العقوبات المفروضة عليها، إلا أن طريق وصول إيران إلى النقد الأجنبي أغلق إلى حدٍّ كبير، بعد انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، وتجميد أصول الصرف الأجنبي لأفغانستان. كما تلبّي إيران معظم احتياجات أفغانستان من النفط، ولكن تدفق النفط من إيران إلى أفغانستان توقف نتيجة سيطرة طالبان على البلاد. لهذا السبب ارتفعت أسعار البنزين في أفغانستان، فوجّهت طالبان رسالة إلى إيران عبّرت فيها عن رغبتها في استمرار تجارة النفط، فاستأنفت إيران إرسال صادراتها النفطية التي علقتها في 6 أغسطس 2021 إلى أفغانستان بعد أسبوعين[24]. إضافة إلى ذلك، قامت طائرة تابعة لشركة "ماهان إير" الإيرانية بنقل 14 راكبًا إيرانيًّا إلى مطار كابول في 15 سبتمبر 2021، عقب تعطّل العمل في مطار حامد كرزاي الدولي، وبذلك استؤنفت الرحلات التجارية بين البلدين[25]. ويبقى تأمين استمرارية العلاقات التجارية بين البلدين عبر إقامة الحوار مع طالبان الطريقَ الأمثل لتفادي الآثار السلبية للتطورات الجارية في أفغانستان التي تُعدُّ من أهم الشركاء التجاريين لإيران.

يعيش الشيعة في أفغانستان بأعداد لا يستهان بها، وبحسب التقديرات يشكل الشيعة 10–20 ٪من سكانها[26]، وأغلب هؤلاء الشيعة ينتمون إلى مجموعة عرقية تُسمَّى الهزارة. من المهمّ للغاية بالنسبة لإيران حماية الشيعة في أفغانستان. يجدر بالذكر هنا أن إسماعيل قاآني، قائد فيلق القدس بجيش الحرس الثوري حضر جلسة مغلقة في البرلمان الإيراني في 7 سبتمبر 2021. وبحسب النائب إسماعيل سليمي الذي روى ما جرت مناقشته في الاجتماع، فإن قاآني تحدث عن أولويات إيران الأمنية في أفغانستان، وأنه قال في كلمته: إن الطائفة السائدة في إيران هي الشيعة، وذكر أن طالبان تتحرك على أساس المذهب السني، وأنها ارتكبت المجازر بحق الشيعة سابقًا، وقال: إنه يتعين على إيران حماية الشيعة في أفغانستان[27]. هذه التصريحات العلنية التي صدرت عن أحد أكبر قادة إيران

بحق الشيعة في أفغانستان مهمّة؛ لأنها كشفت عن تهديد جديد يمكن أن يصل ينال الشيعة في أفغانستان. فمن المعلوم أن حركة طالبان كانت تتبنى فهمًا دينيًّا راديكاليًّا،وكانت ترتكب المجازر ضد الشيعة[28]، ولذلك فإن وصولهم إلى السلطة أعاد إلى الأذهان احتمالية أن تتكرر نفس السيناريوهات السلبية. في بادئ الأمر،أبدت طالبان تجاه الهزارة الشيعة مواقف تنادي بالتسامح في المعاملة معهم، وتدعو إلى حمايتهم. في هذا الصدد، نذكر أن أعضاء طالبان شاركوا في احتفالات محرم، وبخاصة مراسم عاشوراء، وتبنوا خلالها حماية الشيعة[29]. ومن المتوقع أن تصل طالبان وإيران إلى اتفاق، بعد هذا الموقف الذي أبدته طالبان، ومن هنا فإن مصير الشيعة في أفغانستان يتوقف على مسار العلاقان بين طالبان وإيران.

من ناحية أخرى، حشدت إيران آلاف الناس من المليشيات الشيعية من أفغانستان، وأرسلتهم إلى سوريا دفاعًا عن نظام بشار الأسد، تحت سقف تنظيم أطلقت عليه اسم كتائب "الفاطميون" الذي يضم حوالي 50 ألف عنصر من تلك المليشيات. وفي نهاية العام الماضي، اقترح وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف إعادة كتائب "الفاطميون"

الذي صار معطلًا نسبيًّا نتيجة انخفاض حدة الحروب الأهلية السورية، إلى أفغانستان لمحاربة داعش. لكن اقتراح ظريف تلقّى ردًّا شديد اللهجة من قبل الحكومة الأفغانية[30]. ويمكن القول: إن إيران تريد تفعيل كتائب "الفاطميون" لتكون بمثابة حصان طروادة في أفغانستان. حاليًّا، تتحدث إيران عن هذا الخيار بين الفينة والأخرى، وتعدّه ورقة رابحة.

ثمة أيضًا أواصر ثقافية بين أفغانستان وإيران. إذ بقيت أفغانستان تحت سيطرة الدولتين التركية والإيرانية عدة قرون، فانتشرت لغة إيران وثقافتها في أفغانستان حتى صارت اللغة الرسمية في أفغانستان –المعروفة باسم اللغة الدرية– ذات قرابة باللغة الفارسية المتداولة في إيران، وأصبح شعبَا البلدين يفهمان لغة بعضهما بسهولة. وجعل التقارب الثقافي التفاعلَ الاجتماعي بين البلدين بمستويات عالية، ولذلك تُعَدّ الشراكة الثقافية عاملًا يسهل العلاقات بين البلدين، ولاسيما في مجال التجارة. فضلًا عن أن الشراكة التاريخية والثقافية تقود إيران إلى عدّ أفغانستان بمثابة منطقة من مناطقها الداخلية.

الخاتمة:

من المرجّح أن تؤدي التطورات في أفغانستان إلى خلق فرص وتكاليف بالنسبة لإيران، كما هو الحال مع العديد من البلدان الأخرى. وسيتضح كيفية تأثر إيران بهذه التطورات بالتوازي مع مستقبل الأزمة الأفغانية التي أوجدت حالة من الغموض، دفعت إيران إلى توخي الحيطة والحذر في سياساتها تجاه أفغانستان. سياسة إيران في أفغانستان لها أبعاد مختلفة، مثل تحركاتها البراغماتية لحماية مصالحها الوطنية، وتقويض هذه البراغماتية الخطابَ المناهض لطالبان الذي يتبيّن منذ وقت طويل، وهذا التقويض له أبعاد مختلفة، كأن يؤدي إلى إحداث خلل في السرد الذي طالما استقر وتوطد في أذهان الإيرانيين. ولذلك، أخذت إيران تغيّر موقفها المؤيّد لطالبان الذي تبنته في بدايات الأزمة، ووضعت فيما بعد مسافة بينها وبين طالبان، والسبب في ذلك يُعزَى إلى مواقف الشعب الإيراني والنخب الإيرانية، وتحول التوازنات الإقليمية. وقد أُصيبت إيران بالقلق حينما قطعت باكستان شوطًا طويلًا في علاقتها مع طالبان، وخير دليل على ذلك هو رد فعل الجانب الإيراني على استيلاء طالبان على بانشير نتيجة ضعف المقاومة. فضلًا عن أن إيران تتخذ موقفًا معارضًا للتعاون الأفغاني الباكستاني؛ لأن ذلك يأتي بمعنى أن تكون القومية البشتونية المرجع السياسي السائد في المنطقة.

ومع انتقال طالبان إلى بنية سياسية راسخة، عاد إلى الأذهان السؤال الآتي: إلى أيّ مدى يمكن لهذا البنية السياسية أن تزيل الحساسيات الأمنية لإيران؟ امتعضت إيران عندما رأت أن الحكومة المؤقتة تضم في الغالب أعضاء من أصول بشتونية، وأنها أعلنت نفسها حامي الهزارة في أفغانستان. وعلى الرغم من استمرار العلاقات الاقتصادية بين البلدين،

فإن زيادة حجم التجارة بين إيران وأفغانستان تتطلب على وجه الضرورة علاقات سياسية جيّدة. من ناحية أخرى ، لا يزال الغموض يعتري مصير عشرات الآلاف من المِيليشيات الشيعية الأفغانية التي استخدمتها إيران في الدفاع عن نظام الأسد في سوريا، وأُطلِق عليها اسم كتائب "الفاطميون". سيتحدد مصير هذه المليشيات بالتوازي مع مصير الحرب الأهلية السورية. بكل الأحول. ويُتوقَّع أن تكون ميليشيات "الفاطميون" جزءًا من مستقبل أفغانستان بطريقة أو بأخرى. ولا تزال إيران تحتفظ بعناصر هذا التنظيم من باب الاحتياط؛ لذا يمكن القول: إن إيران ستستمر في أداء دور فاعل في تحديد مصير أفغانستان.

الهوامش والمراجع:

1. Douglas Jehl, “Iran Holds Taliban Responsible for 9 Diplomats' Deaths”, The New York Times, 11 September 1998.
2. “Iran asks for unraveling hidden dimensions of Mazar-e-Sharif incident”, Tehran Times, 7 August 2021.
3. "محمود أحمدي نجاد: 'لقد ساعدنا أمريكا في أفغانستان والعراق'"، Pressmedya، 1 مارس 2013.
4. Bashir Ahmad Gwakh, “Why Afghan Politicians Express Anger And Grief Over Soleimani's Killing”, Radio Farda, 4 January 2020.
5. “Taliban Confirms Visit To Iran On Afghan Peace”, Tolo News, 1 January 2019.
6. “Iran continues efforts to broker peace in Afghanistan”, Tehran Times, 29 June 2021.
7. “Iran continues efforts to broker peace in Afghanistan”, Tehran Times, 29 June 2021.
8. JavadZarif, Twitter, https://twitter.com/jzarif/status/1412799085418012674
9. .Iran says its embassy in Kabul remains open”, Reuters, 17 August 2021”
10. JavadZarif, Twitter, https://twitter.com/JZarif/status/1426934665215152133?s=20
11. “Iran: President Raisi says US 'defeat' in Afghanistan a chance for lasting peace”, Middle East Eye, 16 August 2021.
12. Mahmoud Ahmadinejad, Twitter, https://twitter.com/Ahmadinejad1956/status/1427664635092688910
13. Mahmoud Ahmadinejad, Twitter, https://twitter.com/Ahmadinejad1956/status/1440009415487328257
14. ”پیام بیش از پانصد تن از فعالان سیاسی و مدنی ایرانی به احمد مسعود“, Zeitoons, 8 September 2021
15. Tehran Times, Twitter, https://twitter.com/ Tehran Times 79/status /14 36 22 6919045947397? s=20
16. “Iran draws red lines on Afghanistan”, Tehran Times, 6 September 2021.

17. Syed Zafar Mehdi, “Iran slams Taliban government formation in Afghanistan”, AA, 8 September 2021.
18. “Refugees in Iran”, https://www.unhcr.org/ir/refugees-in-iran/, E.T. 25 September 2021.
19. “Afghanistan: How much opium is produced and what's the Taliban's record?”, BBC, 25 August 2021.
20. Frank Gardner, “Afghanistan airport attack: Who are IS-K?”, BBC, 27 August 2021.
21. “Iran attacks: 'IS' hits parliament and Khomeini mausoleum”, BBC, 7 June 2017
22. “Trade with Afghanistan in limbo as exporters look for alternative markets”, Tehran Times, 9 August 2021
23. “Exports from Iran to Afghanistan hit $341m in 2 months”, Tehran Times, 9 June 2020.
24. “Iran resumes a crucial lifeline to Afghanistan: Fuel”, Al Jazeera, 24 August 2021
25. “Iran restarts commercial flights to Afghanistan”, France24, 15 September 2021.
26. “Estimated Percentage Range of Shia by Country”, https://www.pewresearch.org/wp-content/uploads/sites/710/2009//Shiarange.pdf, E.T. 25 September 2021; Waheed Massoud, “Why have Afghanistan's Shias been targeted now?”, BBC, 6 December 2011.
27. “نشست غیرعلنی مجلس درباره اوضاع افغانستان/ اظهارات مهم سردار قاآنی در جلسه با نمایندگان”, Jahan News, 7 September 2021.
28. “Afghanistan: Massacres of Hazaras in Afghanistan”, https://www.refworld.org/docid/3ae6a87c4.html, E.T. 25 September 2021.
29. “Afghanistan: A subdued Ashura under Taliban rule”, Al Jazeera, 19 August 2021.
30. Shadi Khan Saif, “Iran's remarks stirs controversy in Afghanistan”, AA, 22 December 2020.